٢٣ لجنة تعمل على اعادة النظر بـ ١٦٩ كتاباً مدرسياً

الافتقار الى فلسفة تربوية موحدة العائق الاكبر امام تحديث المناهج

تبعيث التعليم ومناهجه عقّد التغييرات المطلوبة

قضية تغيير المناهج الدراسية، شكّلت ومنذ سقوط الدكتاتورية في التاسع من نيسان ٢٠٠٩، مشكلة حقيقية في الواقع التعليمي والتربوي العراقي، وشهدت تجاذبات عديدة واختلافات في وجهات النظر بشأن الأسس التي ينبغي ان يقوم عليها المنهج وما هي الفلسفة التربوية التي يعتمدها ويقوم عليها، وبرغم بعض التبديلات التي حصلت في هذا الكتاب أو ذاك أو في هذه المرحلة أو تلك، الا ان الواقع يشير الى ان مثل هذه التغييرات غير قائمة على اسس علمية ومنطقية وشابها الكثير من الارتجال والفوضى والأخطاء، ما استدعى النظر مرّة ثانية الى المنهج!

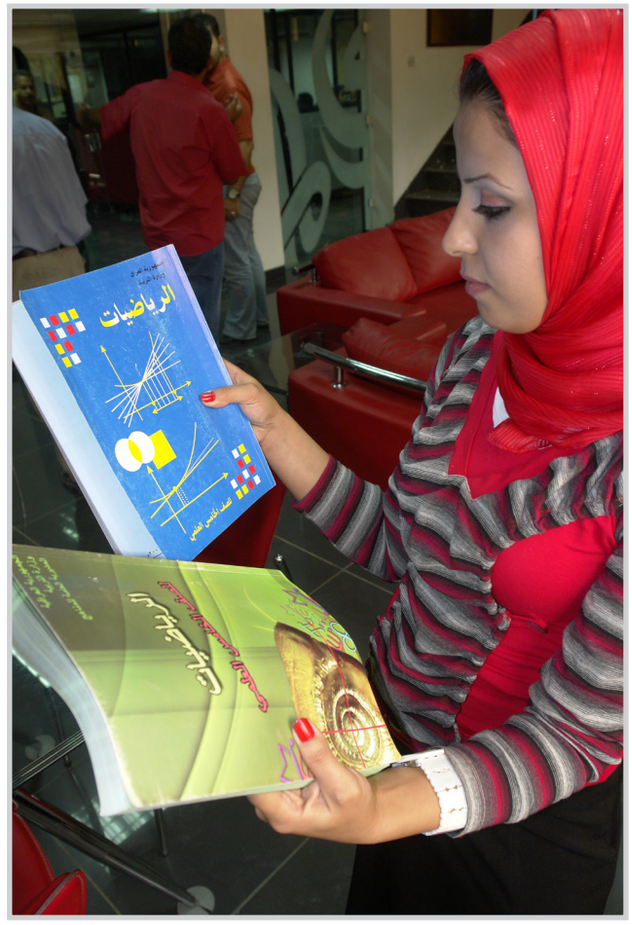

مقارنة بين منهجين

تدريس مناهج مختلفة

بغداد /سها الشيخلي

تصوير مهدي الخالدي

قرارات جائرة

اجبر النظام السابق المعلمين والطلبة على الانخراط في حزب البعث المنحل للهيمنة الكاملة على قطاع التعليم بكل مراحله، واضطر القسم الاخر الى الرضوخ لهذا القرارالجائر بسبب وضعهم المعيشي فيما غادر البعض الثالث البلاد للحفاظ على سلامتهم، ما افقد المؤسسة التعليمية الكثير من ميزاتها التربوية وخصوصاً ربط التعليم بالمجتمع وتحولت المدارس الى ثكنات عسكرية مصغرة لخدمة اهداف النظام السابق.

مميزات المدرسة الحديثة

يؤكد الدكتور هشام الحيالي في جامعة بغداد أستاذ علم الاجتماع ضرورة ان تقوم المدرسة الحديثة على الأسس التالية:

١- ضرورة ربط المدرسة بالمجتمع، حيث أكد على ان المدرسة جزء لا يتجزأ من المجتمع وينبغي ان تكون مجتمعا مصغرا خاليا من الشوائب التي نجدها في المجتمع الكبير، وبناء مدرسة تلعب دورين اساسيين في خدمة المجتمع الذي تنشأ فيه، أولهما نقل التراث بعد تخليصه من الشوائب، وثانيهما إضافة ما ينبغي اضافته لكي يحافظ المجتمع على حياته.

٢- ضرورة اعتبار التربية المدرسية عملية حياتية وليست عملية (إعداد للمستقبل)، فلقد اعتبرت المدرسة القديمة ان العملية التربوية التي تتم في المدرسة هي من اجل اعداد التلاميذ للمستقبل، أي انها ترتبط بالمستقبل اكثر مما ترتبط بالحاضر، وانه بناء على ذلك يهون بناء اي شيء في الحاضر اذا كان يضمن قيمة او فائدة للمستقبل بما في ذلك العقاب البدني، وان مسايرة رغبات التلاميذ عمل غير مقبول، بل وممنوع لان ذلك يعتبر عملا لا يحقق هدفا مفيداً للمستقبل.

٣- ضرورة الاهتمام بالموضوعات العلمية والمهنية وبمبدأ الفعالية بصورة عامة والاهتمام بالاعمال اليدوية والمهنية في المنهج الدراسي وعدم الاقلال من شأنها، على ان مبدا الحصول على الخبرة والتعليم تدعمه التجربة هي التي تظهر الخطأ والصواب في فرضياتها، وإدخال أنواع مختلفة من المهن المدرسية، حيث ان هذه المهن تجدد الروح في المدرسة وتربطها بالحياة وتجعل المدرسة بيئة صادقة للطفل يتعلم فيها العيش المباشر بدلاً من ان تكون مجرد مكانٍ لتعلم الدروس وذات صلة بعيدة ومجرّدة بحياة قد تنفع في المستقبل، وليكن معلوما ان الهدف من ادخال المهن في المدرسة ليس من اجل القيمة الاقتصادية، ولكن من أجل تنمية القوة الاجتماعية وبعد النظر، فالمهنة تجهز التلميذ بدافع حقيقي وتعطيه خبرة مباشرة وتمنحه الفرصة للاتصال بالأمور الواقعية.

٤- ضرورة اهتمام المدرسة باللعب بالنسبة للتلاميذ كوسيلة لتنمية قدراتهم الجسمية والعقلية، حيث ان اللعب يعتبر الفعالية الجدية في حياة الطفل والاكثر قابلية لاطلاق قواه الكامنة.

ومن المؤسف ان نرى الكثير من الاباء والامهات يعتبرون اللعب نوعا من السخف ومضيعة للوقت ولا يخدم اطفالهم وهم يحاولون الحد من نشاطات أبنائهم، ويعزون ضعفهم في بعض الدروس الى اهتمامهم باللعب على حساب دروسهم، دون ان يكلفوا انفسهم التحري عن السبب الحقيقي لذلك ومعالجته، ويعد اللعب ضرورياً جداً للأطفال، ضرورة الطعام والشراب من اجل ضمان سلامة نموهم العقلي والجسدي بشكل طبيعي.

٥- ربط العملية التربوية بالديمقراطية حيث ان الديمقراطية أسلوب في الحياة وليست مجرد تطبيق سياسي لمفهوم قديم يرجع الى عهد اليونان في العصور القديمة وليست الديمقراطية شكلاً من اشكال الحكومة، وانما هي في اساسها أسلوب من الحياة المجتمعية والخبرة المشتركة والمتبادلة، وعلى هذا الاساس فالديمقراطية تعني المساواة بين الافراد وتهيئة الفرص المتكافئة لهم دون تمييز، وتعني التكافل الاجتماعي، والعدالة الاجتماعية وحرية الاعتقاد والقول والنشر والاجتماع وهي تعني اقامة علاقات انسانية تتسم بالاخذ والعطاء وتغليب العقل والخبرة في مجابهة وحل المشاكل التي تصادفنا.

ويؤكد الدكتور الحيالي ان المدرسة الديمقراطية التي نصبو اليها هي تلك المدرسة التي يعيش فيها التلاميذ والمعلمون وسائر العاملين فيها زملاء متعاونين من اجل تحقيق الهدف المشترك الذي يخدم المجتمع.

الأساليب التربوية

ويؤكد الدكتور فيصل القريشي مديرعام الاشراف التربوي (سابقاً): ان واقع مدارسنا اليوم يمثل كارثة في اساليبها التربوية العقيمة القائمة على العنف وعلى الكبت، تماما كما هو الواقع في البيت، حيث يمارس القمع والكبت ضد الأطفال مما يؤثر تاثيرا سلبيا بالغ الخطورة على مستقبل أجيالنا، ومما زاد في الطين بلة كون اجيالنا عاشت في ظل نظام شمولي دكتاتوري قمعي صفى خلال اربعة عقود أي مظهر من مظاهر الديمقراطية، وسلب المواطن كافة حقوقه الانسانية وسعى الى تقديس الدكتاتور، مسخ شخصية الإنسان، وزور التاريخ بأبشع صورة، وجعل من المناهج والكتب الدراسية ادوات لعملية غسل خطيرة لادمغة أبنائنا، وعمل بكل الوسائل والسبل على حشو ادمغة التلاميذ بالافكار البعثية الفاشية التي تقدس الحروب، وتجنيد التلاميذ بما يسمى بالاشبال في الصفوف الأولى وفدائيي صدام في المرحلة المتوسطة والثانوية والتشجيع على العنف والعدوان وحتى القتل بابشع الاساليب الوحشية.

الكتاب والمعلم

مدير ثانوية متقاعد عباس مصطفى علي يقول بخصوص علاقة الكتاب بالمعلم: يشهد عصرنا الحاضر تطوراً كبيراً في أساليب التربية و ا لتعليم قلب المفاهيم السائدة رأساً على عقب، فبعد ان كان الكتاب والمعلم وهو لا يزال مع شديد الاسف في الكثير من البلدان النامية والعراق واحد منها، هما المحور الذي تدور حوله عملية التربية والتعليم، وكل هم المدرسة حشو ادمغة التلاميذ بالمعلومات النظرية التي تتضمنها الكتب المقررة من قبل وزارات التربية والتعليم، والتي ليس لها علاقة بواقع حياتهم، ولا صلة تربطها بالمجتمع واجبار التلاميذ على استيعابها بكل الوسائل ومنها بكل تاكيد القسرية، بما فيها العقاب البدني لكي يتم حفظها عن ظهر قلب، وتأدية الامتحانات بها، لكن تلك المعلومات التي اجبر الطلاب على حفظها لا تلبث ان تتبخر من اذهانهم لان التلميذ ينسى بسرعة ما تعلمه لكنه يذكر دائما ما وجده بنفسه، وان التعلم الحقيقي هو ان يقوم التلميذ نفسه بتجاربه فهو يفهم اكثر اذا عمل بدل ان يصغي ويقرأ، وان كل المعارف التي يتلقاها التلميذ عن طريق الترديد والتلقين لا تعتبر معارف حقيقية، فقد تكون الخطورة في الترديد دون فهم، وقد يكون الفهم خاطئا وهو ما يعتبر اخطر من الجهل كما يقول افلاطون.

كانت المناهج التاريخية السابقة تهتم بسيرة القادة المستبدين والطغاة

امتلاك المعرفة

ويؤكد الدكتور قحطان العبيدي أستاذ علم النفس في الجامعة المستنصرية: من الضروري ان يمتلك التلميذ المعرفة واستيعابها بكيانه كله وبفكره وتجربته لكنه يعجز عن ذلك اذا لم تعطه الوقت المناسب والكافي ليدرسها وليستعيدها لنفسه وحسابه الخاص، ولا يشك احد ان معرفة كهذه هي ابقى من معرفة تلقن تلقينا لانها تبقى للابد في حالة استعداد لمجابهة مواقف ومشاكل اخرى حتى لو نسيتها الذاكرة لانها تتيح للتلميذ الفرصة في توسيع إمكاناته.

لقد أهملت مدارسنا ميول ورغبات وغرائز الأطفال وضرورة فسح المجال لاظهار التلميذ لقدراته وقابلياته في مختلف الفنون الموسيقية والغنائية والتمثيلية واهملت ضرورة اعطائه المجال الواسع للعب واظهار طاقاته البدنية المكبوتة، واعتبرتها مسائل ثانوية في نظر القائمين على التربية لا تستحق الاهتمام، ومن الممكن ان نلخص القول بان مركز الجاذبية واقع خارج نطاق المدرسة.

وفي الوقت الحاضر نرى ان التغيير المقبل في تربيتنا هو تحول مركز الجاذبية من المعلم والكتاب الى المدرسة بمفهومها العام، وقد دعا جان جاك روسو الى اجراء التغيير الجذري في مناهج المدرسة قائلاً: حولوا انتباه تلميذكم الى الظواهر الطبيعية فيصبح اشد فضولا، ولكن لا تتعجلوا ارضاء هذا الفضول، ضعوا الأسئلة في تناوله، ودعوه يجب عليها ليعلم ما يعلم ليس لانكم قدمتموه له ولكن لانه فهمه بنفسه، ليكتشف العلم بدلاً من ان يحفظه، فعندما يجبر علي ان يتعلم بذاته فانه يستعمل عقله بدلاً ان يعتمد على عقل غيره، فمن هذا التمرين المتواصل تنجح قوة عقلية تشابه القوة التي يعطيها العمل والتعب للجسم، ان الإنسان يتقدم بالنسبة لقواه، وكذلك الفكر فانه مثل الجسم لا يحمل الا ما وسع من طاقته، وهكذا اذا كانت الدعوات من قبل المربين تتوالى لإعادة النظر في المناهج الدراسية والتربوية من اجل تحويل المدرسة الى صورة مصغرة من المجتمع الكبير المشذب والمهذب لكي يمارس التلاميذ حياتهم الفعلية فيها، ويستنبطوا الحقائق بأنفسهم، وليصبح الكتاب والمعلم عاملين مساعدين على تحقيق ما نصبو اليه في تربية اجيالنا ولتصبح المدرسة هي الحياة بالنسبة لهم وليست اعدادا للحياة، حيث يمارس التلاميذ داخل مدرستهم مختلف أنواع المهن الموجودة في المجتمع الكبير، ويمارسون كل هواياتهم الفنية والرياضية والموسيقية وغيرها من الهوايات وبكل ثقة نستطيع القول انهم بهذا الاسلوب سوف يطلقون قدراتهم الذاتية في الاستطلاع والفهم والاستيعاب، واستنباط الحقائق بانفسهم خيرا الف مرة من تلقيهم الدروس المحددة والجامدة والتي لا تغنيهم شيئا ولا تلبث ان تطير من أذهانهم.

مناهج العصر الحديث

ويوضح الدكتور يونس عبد الرحمن أستاذ علم الاجتماع في الجامعة المستنصرية: ان النصف الثاني من القرن العشرين قد شهد تطورات هائلة في المجال العلمي وفي مختلف مجالات الحياة الاقتصادية والاجتماعية والتكنولوجية والصحية التي جاءت بشكل سريع قد يقف الإنسان مذهولا أمامها على الرغم من انه هو الذي اوجدها وطورها.

فنحن اليوم نعيش عصر الذرة والاقمار الصناعية وعصر الكومبيوتر والانترنيت والاتصالات واجهزة الاستقبال التي حولت العالم الى قرية صغيرة ومكنت الانسان من الحصول على كل ما يحلم به من معلومات بدقائق معدودة، ولم يقتصر التطور العلمي على الاختراعات والصناعات المختلفة، فقد كان لابد ان يحدث التطور في المجال التربوي والتعليمي جنبا الى جنب لان المجالين يكمل أحدهما الآخر ولان التطور التقني يتطلب قدرات متطورة وعالية لدى العاملين لكي يستطيعوا مواكبته، وهكذا ارتفعت اصوات المفكرين والعلماء العاملين في المجال التربوي لاجراء ثورة في اساليب التربية والتعليم في مدارسنا واعادة النظر في المناهج والكتب المدرسية والوسائل التي تمكن المدرسة من اداء عملها على الوجه الأكمل.

إقرار الفلسفة التربوية

يقول مدير عام المناهج في وزارة التربية غازي مطلك في موضوع الفلسفة التربوية:ان التغيير في اقرار الفلسفة التربوية بدأ بتاريخ ٢٠٠٨/٣/١١ وشمل تغيير المناهج للمراحل الدراسية كافة وحتى مناهج رياض الأطفال حيث تم اعداد اناشيد تتغنى بحب الوطن بعد ان كانت تتغنى برموز النظام السابق، ووضعت الأهداف والمفردات وفق المعايير التالية:

- الخبرة في مجال التأليف سواء من عناصر المديرية العامة للمناهج أم أساتذة الجامعة.- خبرة الميدانيين والمشرفين التربويين.- الإفادة من آراء المعلمين والمدرسين وخبرتهم في مجال تسهيل وصول المادة الى الطالب.- اخذ رأي أولياء أمور الطلبة ومنظمات المجتمع المدني المتخصصة بالتربية والتعليم وتم عقد ندوات في مبنى الوزارة بعدد ٢٢ ندوة لمناقشة الاهداف والمفردات، وجرى التصويت على الاهداف والمفردات وتشكلت ٢٣ لجنة تخصصية تجتمع أسبوعياً، كما اطلعنا على انظمة دول الجوار والدول العربية ووجدنا ان النظام المغربي هو الاقرب الينا، كما اطلعنا على النظام الفرنسي والانكليزي ووجدنا ان النظام الانكليزي ليس قاصراً، ووجدنا ان النظام الامريكي يعمل بنظام التداخل فمثلاً تتداخل مواد كل من الفيزياء والكيمياء والأحياء بشكل يربك الطالب ورجعنا الى التخصص وبدأنا من الصف الأول المتوسط ووضعنا المبادئ الأساسية كمواد تمهيدية بعد ان وجدنا كثرة الرسوب في هذه المواد اولا وللتخفيف من صعوبة مواد الصف الثاني ثانيا، كما استحدثنا مواد أخرى منها الطاقة البديلة واكدنا على البيئة والتصحر والإفادة من النفايات لتدويرها وتحويلها الى غاز الميثان لتوليد الكهرباء والمسماة بالطاقة المستدامة او المتجددة مثل تجارب كل من المكسيك والبرازيل.

× ما الكتب التي شملها التغيير وما السقف الزمني لانهاء عمل اللجان؟

- تم تحديد ١٦٩ كتاباً شملها التغيير ولكل المراحل الدراسية وبقي ٩٠ كتاباً وسوف ننتهي من العمل نهاية عام ٢٠١١ وكان العمل يجري بتغيير ٦٠-٦٥ كتابا كل سنة، وبعد استقرار الكتب المنهجية سوف نعمل على تأليف كتاب الدليل للمدرس والمعلم.

وجهة نظر

× عند تصفحي لكتاب القراءة للصف الرابع الابتدائي وجدت التركيز على اقوال وتعليم الدين الاسلامي مع وجود الاية القرانية في بداية الكتاب، ان ذلك يخلق بعض الحساسية لدى الطفل غير المسلم، كما وجدت ان اغلب الصور للنساء والسيدات من المحجبات ما هذا التركيز مع وجود مادة التربية الإسلامية؟

- كلنا مسلمون ودين الدولة الرسمي هو الاسلام كما ان القرآن الكريم هو الذي يعلم الطالب النحو وقواعد اللغة العربية وميلنا الى التعاليم الا سلامية ميل فني لنعود الطالب على النطق بالعربية الصحيحة نحن نعتمد على القران الكريم لان اي كتاب لا يرتقي الى بلاغته.

حشو غير مبرر

× بعض المناهج تعتمد الحشو غير المبرر ولا يستفيد منها الطالب فقد عانينا من النظريات الهندسية والمتواليات العددية؟

- الرياضيات تنشط خلايا الدماغ وتدفع الطالب الى الاستنتاج السليم وهناك قضايا اساسية يقولون الان الروتين غير جيد لكنه ينظم عمل الدائرة، بعض الكتب لابد ان تخضع للحفظ لتقوية ملكة الطالب النظريات الهندسية التي اشرت اليها لا توجد الان لقد تغيرت الرياضيات الى المعاصرة فهي الآن تختلف عما درسناه سابقاً.

الاهتمام بالطغاة

× كنت مدرسة لمادة التاريخ في احدى الثانويات ووجدت المناهج الخاصة بهذه المادة تهتم بتاريخ القادة والمستبدين والطغاة وتترك تاريخ الشعوب او القاء الضوء على حياة المجتمع بدءً من عصر فجر السلالات الى نهاية الحرب العالمية الثانية؟

- هذا صحيح، الآن في أوروبا يدرسون التاريخ الى الحرب العالمية الثانية وذلك لكي لا تتأثر الأجيال بوجهات النظر المختلفة، اما عندنا فالتاريخ يتناول حقباً زمنية منها ثورة الجزائر واحداث عام ١٩٥٦ وهناك من يدعو الى دراسة التاريخ الى حد عام ٢٠٠٣، كل كتب التاريخ لم تركزعلى النتاج الفكري للشعوب بل على الفتوحات والحروب، كتابة التاريخ الواقعي والحقيقي تخضع الى صفة النقد.

عند كتابة التاريخ الأوروبي قلت للجنة ان تركز على حقيقة القومية ولكن حتى القومية في اوربا تولدت عنها الفاشية والاستعمار الحديث.

طبع خارجي

× يتم طبع الكتب في الخارج دائما مع وجود مطابع اهلية وحكومية جيدة ويشكو اصحاب المطابع من ابرام العقود في الخارج؟

- مسؤولياتنا بعيدة عن الطباعة، نحن نعد الكتاب ونعطي مواصفاته وهي (عدد الملازم، عدد الصفحات، الوان الكتاب) وهناك مديرية عامة للعقود وهناك كتب مطروحة فيها اخطاء عديدة، نحن نأخذ برأي وملاحظات تردنا من جهات عديدة فمثلا كتاب الجغرافية للصف الرابع الاعدادي الأدبي تم تحويل الوصف فيه الى الاستشعار عن بعد واستخدام الصور وتحليلها وحدثت ضجة سببها صعوبة فهم الكتاب الجديد ذلك لانهم تعودوا على الكتاب القديم، وكلما نقدم الجديد في المناهج نجد هناك من يقاوم التغيير وهذا دليل عافية ايضا ويعني ان هناك من يتابع، وهناك من يحافظ على المناهج القديمة.

على العموم طلابنا يريدون السهل الا اننا ننظر الى تطور المجتمعات ونغوص في أعماقها ونقدم الأفضل وفق منظور تطورالمجتمع فالزمن في تغير مستمر.

غياب المناهج اللاصفية

بانتظار الجديد